

تفسير البحر المحيط

@ 105 @ الرأي ذلك لشدة الحفظ الذي كان عليهم وقلة التغيير ، وذلك أن الغالب على النوم أن يكون لهم استرخاء وهيئات تقتضي النوم ، فيحسبه الرأي يقطان وإن كان مسدود العينين ، ولو صح فتح أعينهم بسند يقطع العذر كان أبين في أن يحسب عليهم التيقظ ، والظاهر أن قوله { وَتَحَسَّبُ لَهُمْ } أَيْ يَقَاطُّهَا { إخبار مستأنف وليس على تقدير . وقيل : في الكلام حذف تقديره لو رأيتهم لحسبتهم { أَيْ يَقَاطُّهَا } . . .

والظاهر أن قوله { وَنُقَلِّبُهُمْ } خبر مستأنف . وقيل : إنما وقع الحسبان من جهة تقلبهم ، ولا سيما إذا كان من اليمين إلى الشمال ومن الشمال إلى اليمين وفي قراءة الجمهور { وَنُقَلِّبُهُمْ } بالنون مزيد اعتناء □ بهم حيث أسند التقلب إليه تعالى ، وأنه هو الفاعل ذلك . وحكي الزمخشري أنه قرء ويقلبهم بالياء مشدداً أي يقلبهم □ .

وقرأ الحسن فيما حكى الأهوازي في الإقناع : ويقلبهم بياء مفتوحة ساكنة القاف مخففة اللام . وقرأ الحسن فيما حكى ابن جني : وتقلبهم مصدر تقلب منصوباً ، وقال : هذا نصب بفعل مقدر كأنه قال : وترى أو تشاهد تقلبهم ، وعنه أيضاً أنه قرأ كذلك إلا أنه ضم الياء فهو مصدر مرتفع بالابتداء قاله أبو حاتم ، وذكر هذه القراءة ابن خالويه عن اليماني . وذكر أن عكرمة قرأ وتقلبهم بالتاء بائنتين من فوق مضارع قلب مخففاً . قيل : والفائدة في تقلبهم في الجهتين لئلا تبلي الأرض ثيابهم وتأكل لحومهم ، فيعتقدوا أنهم ماتوا وهذا فيه بعد ، فإن □ الذي قدر على أن يبقئهم أحياء تلك المدة الطويلة هو قادر على حفظ أجسامهم وثيابهم . . .

وعن ابن عباس : لو مستهم الشمس لأحرقتهم ، ولو لا التقلب لأكلتهم الأرض انتهى . و { ذَاتُ } بمعنى صاحبة أي جهة { ذَاتِ الْإِيمَانِ } . ونقل المفسرون الخلاف في أوقات تقلبهم وفي عدد التقلبات ، عن ابن عباس ، وأبي هريرة ، وقتادة ، ومجاهد ، وابن عباس بأقوال متعارضة متناقضة ضربنا عن نقلها صفحاً وكذلك لم نتعرض لأسم كلبهم ولا لكونه كلب زرع أو غيره ، لأن مثل العدد والوصف والتسمية لا يدرك بالعقل وإنما يدرك بالسمع ، والسمع لا يكون في مثل هذا إلا عن الأنبياء أو الكتب الإلهية ، ويستحيل ورود هذا الاختلاف عنها .

والظاهر أن قوله { وَكَلَّابُهُمْ } أريد به الحيوان المعروف ، وأبعد من ذهب إلى أنه أسد ، وأبعد من ذلك قول من ذهب إلى أنه رجل طباح لهم تبعهم ، أو أحدهم قعد عند الباب طليعة لهم . وحكي أبو عمر والزاهد غلام ثعلب أنه قرء وكالئهم اسم فاعل من كلاً إذا حفظ ، فينبغي أن يحمل على أنه الكلب لحفظه للإنسان . قيل : ويحتمل أن يراد بالكاليء الرجل على

ما روي إذ بسط الذراعين واللموق بالأرض مع رفع الوجه للتطلع هي هيئة الربئة المستخفي
بنفسه . وقرأ أبو جعفر الصادق : وكالبهم بالباء بواحدة أي صاحب كلبهم ، كما تقول لابن
وتامر أي صاحب لبن وتمر . .

وقال الزمخشري : { بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ } حكاية حال ماضية ، لأن اسم الفاعل لا يعمل
إذا كان في معنى الماضي ، وإضافته إذا أضيف حقيقة معرفة كغلام